باب العلوم الدينية

1- العفو والترغيب في سورة النساء في تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التآويل»

Forgiveness and Enticement in Surat Al-Nisa' in Al-Baydawi's Interpretation entitled "Anwar of Revelation and Secrets of Interpretation"

بقلم الطالب: محمد السعداني

جامعة الجنان/ قسم تفسير وعلوم القرآن

تاريخ الاستلام: 2023/2/23 تاريخ القبول: 2023/3/10

مستخلص البحث:

تناولت هذه الدراسة مبدأ العفو والترغيب في سورة النساء تفسير البيضاوي للقرآن الكريم المسمى بـ«أنوار التنزيل وأسرار التآويل» دراسة وصفية تحليلية نتعرف فيها على مؤلف الكتاب البيضاوي للتأويل، وعلى ماذا بنى طريقة تفسيره، وتحت أي نوع من أنواع التفسير باستطاعتنا أن نضع الكتاب تحت خانته، وتتبع أهمية البحث من كون سورة النساء سورة غنية بالهدي الذي وضعه الله عز وجل بعناية فريدة من نوعها ابتداء من الحقوق ومعاملة النساء وبيان العفو والترغيب، وتبرز إشكالية البحث في تناول المؤلف لتفسير السورة بشكل مختلف عن باقي كتب التفسير الأخرى، بكونه يتناول المبدأ بشكل كبير في غالب مواطن التفسير الموجودة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة مضمون البحث وبحث نتائجه.

الكلمات المفتاحية: العفو والترغيب، تفسير البيضاوي، سورة النساء، محمد البيضاوي

Abstract:

This study dealt with the principle of pardon and encouragement in Surat Al-Nisa'، Al-Baydawi's interpretation of the Holy Qur'an, which is called "The Lights of Revelation and Secrets of Interpretation." A descriptive and analytical study in which we learn about the author of Al-Baydawi's Book of Interpretation, and on what he built his method of interpretation, and under what kind of interpretation we can put the book under his category. The importance of the research stems from the fact that Surat al-Nisa is a surah rich in guidance that God Almighty has placed with unique care, starting with rights, treatment of women, and the statement of forgiveness and encouragement. In most of the existing places of interpretation, the researcher used the descriptive analytical method in discussing the content of the research and examining its results.

Keywords Pardon and Desire, Interpretation of Al-Baydawi, Surat Al-Nisa, Muhammad Al-Baydawi.

بسم الله الرحمن الرحيم

1. الإطار النظري

1.1 المقدمة:

أخبرنا المولى عز وجل أن من يتعلم علوم القرآن فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فقد قال عز وجل في كتابه العزيز « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا»، وقد قال بعض الفقهاء في تفسير الحكمة أنها القرآن الكريم، وكلمة تفسير في اللغة العربية تعني الإيضاح والتبيين وقد ورد لفظ التفسير في القرآن الكريم في الآية الكريمة «ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا»، وعلم التفسير هو العلم الذي يفهم

به كتاب الله عز وجل الذي أنزله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، ويبين معانيه ويستخرج أحكامه وحكمه، وعلم التفسير يبحث عن مراد المولى عز وجل بقدر ما تستوعبه طاقة البشر، وقد استخدم بعض علماء السلف لفظ تآويل كبديل للفظ تفسير في الحديث عن علم تفسير القرآن الكريم، مثل أبن جرير الطبري الذي كان يستخدم دائمًا لفظ تآويل مثل «القول في تآويل كذا وكذا» أو «اختلف أهل التآويل في هذه الآية». وقد اعتبر العلماء أن علم التفسير يعد من أرفع العلوم الإسلامية قدرًا، وكل العلوم الأخرى تخدم علم التفسير فكل العلوم الشرعية الأخرى تهدف إلى توضيح معاني ومقاصد ومرامي القرآن الكريم وتفسيره، فكما أخبرنا المولى عز وجل عن القرآن الكريم«كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» فعلم البلاغة على سبيل المثال يعد وسيلة لكشف بلاغة القرآن الكريم وكشف سر إعجازه.

1.2 إشكالية البحث:

تنبع إشكالية البحث من كون سورة النساء تحمل الكثير من الهدي سواء بالدلالة على الحقوق وبيانها، وفي ذات الوقت لم توجد دراسة سابقة عن مبدأ العفو والترغيب في سورة النساء.

1.3 أسئلة البحث:

وينتج عن إشكالية البحث سؤال أساسي: ما هي آيات العفو والترغيب في سورة النساء؟

ويتفرع عنه عدة أسئلة:

- ما هو ترتيب سورة النساء بين سور القرآن؟
- ما نوعية التفسير الذي تناوله البيضاوي في هذه السورة؟
- ما المعاني الإعجازية الموجودة في سورة النساء؟

1.4 أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أهمية البحث كونه يتناول سورة قرآنية قل من قام بصياغة بحث عنها بالشكل الذي يطرحه الباحث، ويمكن إيضاح أهمية البحث بالنقاط الاتية:

- إثراء المكاتب التفسيرية الإسلامية بالبحوث الجديدة، والمفيدة لكل باحث في علم الفقه.

- أهمية إنجازات البيضاوي وما قدمه في هذا العلم الجليل.
- تتبع من أهمية هذه السورة التي تحتوي على العديد من تفصيلات الحقوق وبيانها، وإيضاح مبدا العفو والترغيب في تفسير البيضاوي.

1.5 أهداف البحث

يمكن سرد أهداف البحث في النقاط الاتية:

- بيان مبدأ العفو في سورة النساء المذكور في تفسير البيضاوي.
- الوقوف عند تأويل السورة في الكتب الأخرى دون كتاب البيضاوي.
- التعرف إلى سورة النساء وأسباب نزولها وفضلها، ومكانها في الكتاب الحكيم.

1.6 الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع عن دراسة مشابهة لمحتوى البحث، لم يتبين أنه قد كتب أي من الباحثين في مبدأ العفو والترغيب في سورة النساء بل أغلب البحوث قد اشتمل على المقاصد الربانية الموجودة في هذه السورة من دون الالتفات الى الغاية الأساسية التي نزلت بصددها، ونرى من تلك الدراسات دراسة (مهدي العوضي، 2018)[1] التي تألفت من مقدمة وثلاثة مباحث، ناقش فيها الباحث العديد من المقاصد الربانية في هذه السورة دون الوقوف عند إحداها بشكل موسع، وقد تناول الدراسة في نطاق التفاسير مجملة دون الاقتراب من أي نوع من أنواع التفاسير، وهو ما يشكل نقطة اختلاف كبيرة بين هذا البحث والبحث الحالي إذ يتناول السورة كما أورد تفسير مقاصدها الامام البيضاوي رحمه الله.

1.7 فرضيات البحث:

2. واشتمل البحث على فرضية أساسية تقوم على أن مبدأ العفو أورده الله عز وجل في كتابه الكريم في أكثر من نقطة، ولكنه جل جلاله أورده في سورة النساء، بشكل يحتوي مضموناً من الرحمة المطلقة في عفوه، وسنتبين ذلك من خلال الحديث عن آيات العفو في سورة النساء.

(1) مهدي عبدالقادر العوضي، المقاصد الربانية في سورة النساء، دراسة تحليلية استنتاجية، رسالة ماجستير، جامعة ام درمان الإسلامية، 2018.

2. التعريف بالكتاب والمؤلف:

3. هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، فقيه من المذهب الشافعي، المعتقد الأشعري، قاض، عالم، مترجم، خطيب نحوي وأصولي، ولد في مدينة البيضاء «بلاد فارس» بالقرب من شيراز. كان على دراية بالعديد من العلوم العادلة والخيرية. كتب في أنواع العلوم منها مختصر الكشاف «تفسير القاضي»، ومختصر الوسيط في الفقه المسمى الغية، وأبراج الأضواء من القراءات. من العيون في علم التوحيد، وكتاب الغاية الأقصى في ديريات الفتوى في الفقه الشافعي، وكتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول في أصول الفقه، و «طلب اللب في علم النحو»، ونظام التاريخ وتعاريفه. تولى القضاء في شيراز مدة ثم فصل من القضاء فانتقل إلى تبريز وتوفي هناك سنة 691 هـ على ما في الصفوف الشافعية وفي سنة 685 هـ. لما في الطبقات الشافعية.[1]

4. لا شك أن الإمام البيضاوي حقق مكانة علمية بين العلماء، فقد امتطاه الفرسان وأشادوا بأعماله وكتبه ونالهم استحساناً، وكتب الله لهم الغلبة والانتشار في جميع أنحاء العالم. حصل البيضاوي على لقب «رئيس القضاة»، وهذا لقب رفيع لا يمكن أن يحصل عليه إلا العلماء المتميزون أصحاب المكانة الرفيعة والمكانة الرفيعة. وتوافقت كتب السيرة والتاريخ في الأوصاف العامة للإمام البيضاوي فيقول: كان قاضيًا، تقيًا، عادلًا، تقيًا، عالمًا، زاهدًا، عادلًا، نظريًا، وغير ذلك من الأوصاف الجليلة.[2]

5. وتفسير البيضاوي هو الاسم الشائع للتفسير المسمى «أنور التنزيل وأسرار التأويل»، وهو تأليف الإمام شيخ الإسلام القاضي ناصر الدين البيضاوي (ت 685 هـ). ومن أهم التفسيرات التي قبلها غالبية أهل السنة، لما احتوت الفنون على العديد من فضائل التفسيرات الأخرى. وقد حظيت بالاهتمام والشرح والتدريس في معاهد المعرفة الدينية من الهند البعيدة إلى أقصى المغرب، وعلى رأسها الأزهر في مصر والزيتونة في تونس لعدة قرون. وهو من أشهر كتب التفسير، وأشمل الأقوال، وأسهلها في التعامل، وأوضح بيان بإيجاز وإيجاز.[3]

(1) الذهبي، شمس الدين. 1985. سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص245.
(2) المرجع السابق ص247.
(3) ابن رشد، أبو الوليد. 2004. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة: دار الحديث. ص 431.

6. وقد اشتهر هذا التفسير وحظي بقبول العلماء، وانتشر ذكره في جميع البلدان، وانشغل العلماء به بقراءته وتعليمه وتفسيره، ودُرس في الأزهر ومعاهد المعرفة الأخرى لقرون عديدة. ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب الأصفهاني في الاشتقاق، والحقائق الغامضة، وخواص الدلالات، وما يرويه محفز فكره من الوجوه المعقولة والسلوكيات المقبولة. احتوى تفسيره على فنون العلم والمسارات الوعرة وأنواع القواعد ذات الطرائق المختلفة، ثم أنعم هذا الكتاب بقبول طيب بين محبي الفاضلين والفاضلين، فقد كرسوا أنفسهم له بدراسته والتعليق عليه، فقام بعضهم بدراسته. وعلق على سورة منه، وكتب بعضهم في بعض مواضعه، وحشا بعضهم حاشية كاملة، ومن أولهم حاشية أبي بكر بن الصائغ الحنبلي (احتوت على علوم كثيرة وفوائد كثيرة منها حاشية الشيخ محمد بن قره منلا الخسرواني (ت 785هـ) وهي من أفضل وأصح التعليقات ومنها حاشية محمد بن محمد بن عبد الرحمن القهري الشافعي بن الإمام الكامل (ت. 864 هـ))، وهو مطول ومشهور ويتداوله الناس كتابة وقراءة، ومنه حاشية الشيخ الصديقي الخطيب الإمام الكازروني (ت 940هـ) التي وردت فيها رقاقات وحقائق لا تعد ولا تحصى. محمد بن الشيخ العارف الله الشيخ مصلح الدين القوجوي، المشهور بالشيخ زاده (ت 951هـ)، وهو من أعظم الهوامش وأكثرها فائدة، وأسهلها: عبارة كتبها للتوضيح والإيضاح في 8 مجلدات، ثم اختصرها بعد ذلك، فانتشرت، واستعملها العلماء، واستفاد منها الطلاب، وطبع في 3 مجلدات في بولاق عام 1263هـ مع العناية والرقابة. للشيخ قطا العدوي، بما في ذلك حاشية القاضي عبد الحكيم السيالكوتي (ت 1067هـ) المطبوعة في القسطنطينية عام 1271هـ، بما في ذلك حاشية الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (ت 1069هـ) المسمى «نية القاضي وكفاؤه الراضي» جمع فيه لب الهوامش وأبدع وأخبر، وطبع في 8 مجلدات بمطبعة بولاق عام 1283 هـ، بما في ذلك الحاشية. إسماعيل بن محمد بن مصطفى القناوي – نسبة إلى القنوي في آسيا الصغرى – (ت 1195هـ) ووضعها بأمر من السلطان العثماني عبد الحميد 7 مجلدات بالتقسيط بالطين سنة 1286هـ[1].

(1) ابن رشد، أبو الوليد. 2004. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة: دار الحديث. ص432

1 سورة النساء مكانها، فضلها، أسباب نزولها في القرآن الكريم:

1.1 مكانة سورة النساء وفضلها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ[1] رضى الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟!»، قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [2]، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»[3].

– عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الأُوَل مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ»[4].

السبعُ الأُوَل هي: «البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة»، وأَخَذَ السَّبْعَ: أي من حفظها وعلمها وعمل بها، والحَبْر: العالم المتبحر في العلم؛ وذلك لكثرة ما فيها من أحكام شرعية.[5]

– عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ[6] رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»[7] وسورة النساء من السبع الطِّوَال التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان التوراة، و قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «مَنْ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ فَهُوَ غَنِيٌّ، وَالنِّسَاءُ مُحَبِّرَةٌ». وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَ قَالَ: «كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ تَعَلَّمُوا سُورَةَ النِّسَاءِ وَالْأَحْزَابِ وَالنُّورِ»[8]

---

(1) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهُذلي حليف بني زهرة (المتوفى سنة 32 هـ) صحابي وفقيه ومقرئ ومحدث، وأحد رواة الحديث النبوي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وصاحب نعلي النبي محمد وسواكه، وواحد ممن هاجروا الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وممن أدركوا القبلتين، وهو أول من جهر بقراءة القرآن في مكة. وقد تولى قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان.

(2) القرآن الكريم سورة النساء: 41.

(3) رواه عبدالله بن مسعود واخرجه مسلم في صحيحه برقم 800 في باب العقيدة

(4) رواه عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها، اخرجه الألباني في صحيحها في باب العقيدة برقم 2057

(5) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم. 1992. المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان الداودي. دمشق: دار القلم، ص 341

(6) هو الصحابي واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، الليثي الكناني من قبيلة كنانة. وقيل: واثلة بن عبد الله بن الأسقع، كنيته أبو شداد، وقيل: أبو الأسقع وأبو قرصافة.

(7) واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة، اخرجه مسلم في باب بداية السيل برقم 59

(8) الطاهر بن عاشور، 2000. التحرير والتنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي ص 538

* من خصائص سورة النساء ما تتميز به السورة عن غيرها[1]:

– أول سورة –بحسب ترتيب المصحف– تفتح بالنداء، من أصل 10 سورة افتتحت بذلك.

– أول سورة –بحسب ترتيب المصحف– تفتح بـ«يأيها الناس»، من أصل سورتين افتتحتا بذلك (النساء والحج).

– ثاني أطول سورة بعد البقرة 29،5 صفحة.

– خُصَّتْ بآيات الفرائض والمواريث، وأرقامها (11، 12، 176).

– جمعت في آيتين أسماء 12 رسولًا من أصل 25 رسولًا ذكروا في القرآن (الآيتان: 163، 164).

– هي الأكثر إيرادًا لأسماء الله الحسنى في أواخر آياتها (42 مرة)، وتشمل هذه الأسماء: العلم والحكمة والقدرة والرحمة والمغفرة، وكلها تشير إلى عدل الله ورحمته وحكمته في القوانين التي سنّها لتحقيق العدل.

– هي أكثر سورة تكرر فيها لفظ (النساء)، ورد فيها 11 مرة.

– اهتمت السورة بقضية حقوق الإنسان، ومراعاة حقوق الأقليات غير المسلمة، وبها نرد على من يتهم الإسلام بأنه دين دموي، فهي سورة كل مستضعف، كل مظلوم في الأرض.

– فيها آية أبكت النبي صلى الله عليه وسلم (كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الذي سبق قبل قليل).

– اختصت السورة بأعلى معاني الرجاء؛ فنجد فيها:

1) ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[2]

2)﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[3]

(1) ابن حزم الأندلسي، أبو محمد. 1983. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق أحمد شاكر. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص37

(2) القرآن الكريم سورة النساء: 31.

(3) القرآن الكريم سورة النساء: 40.

3) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾ ﴾ [1] .

4) ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ [2].

5) ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [3]

ونجد فيها أيضًا:

6) ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[4]

7) ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[5]

8) ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [6]

1.2 أسباب نزولها:

2 لم يذكر المفسّرون سبب نزول لسورة النساء بالعموم ولكنّهم ذكروا أسباب نزول للكثير من آياتها، وفيما يأتي تفصيل ذلك: سبب نزول آية: وآتوا اليتامى أموالهم ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ رجلًا من قبيلة غطفان كان عنده ابن أخيه اليتيم، وكان لهذا اليتيم مالًا كثيرًا تحت وصاية عمّه، فلمّا كبر وأراد ماله رفض العم ردّ المال، فذهب هو وابن أخيه إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ليحكم بينهما، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾ [7]، فردّ العم المال إلى ابن أخيه.[8]إذ نزلت هذه الآية في رجل كانت لديه يتيمة تحت وصايته وكان لها مال، فتزوّجها كي يحصل على مالها وليس حبًا بها، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ

(1) القرآن الكريم سورة النساء: 48.
(2) القرآن الكريم سورة النساء: 64.
(3) القرآن الكريم سورة النساء: 110.
(4) القرآن الكريم سورة النساء: 26.
(5) القرآن الكريم سورة النساء: 27.
(6) القرآن الكريم سورة النساء: 28.
(7) القرآن الكريم سورة النساء: 2.
(8) الواحدي، كتاب أسباب النزول ت الحميدان، دار القلم صفحة 145–142.

أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ [1].

2.1 تفسير آيات العفو في سورة النساء في «أنوار التنزيل وأسرار التآويل»:

2.1.1 تفسير أيات الزواج وإيتاء الحقوق لمستحقيها من الاية 5-1

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥ ﴾ [2]

{أَيُّهَا ٱلنَّاسُ} فإنه خطاب يعم بني آدم. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ هي آدم. ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا} عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه، أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها، وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة[3]. ﴿ وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾بيان لكيفية تولدهم منهما، والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها، إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر، وذكر ﴿ كَثِيرٗا ﴾ حملاً على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى، والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها، أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها. وقرئ: ﴿وخالق﴾ ﴿وباث﴾ على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ أي يسأل بعضكم بعضاً تقول أسألك بالله، وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية في السين. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها. ﴿ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيد وعمراً، أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها. وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة. وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف

(1) القرآن الكريم سورة النساء: 3.
(2) القرآن الكريم سورة النساء: 5-1.
(3) البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 20

الخبر تقديره والأرحام كذلك، أي مما يتقى أو يتساءل به. وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أن صلتها بمكان منه. وعنه عليه الصلاة والسلام: «الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ حافظاً مطلعاً.

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ أي إذا بلغوا، واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه، من اليتم وهو الانفراد. ومنه الدرة اليتيمة، إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم، ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمي كأسرى لأنه من باب الآفات. ثم جمع يتامى على يتمي كأسرى وأسارى، والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار، لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ. وورود في الآية إما للبلوغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر، حثاً على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد، وقد قال البغوي[1] بذات الرأي، ولذلك أمر بابتلائهم صغاراً أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال؛ وآتوهم إذا بلغوا. ويؤيد الأول ما روي: أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت. فلما سمعها العم قال: أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير.[2] ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها. وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها، وهذا تبديل وليس بتبدل. ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم، أي لا تنفقوهما معاً ولا تسووا بينهما، وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ ﴿أَنَّهُۥ﴾ الضمير للأكل. ﴿كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ ذنباً عظيماً. وقرئ حوباً وهو مصدر حاب ﴿حُوبٗا﴾ وحابا كقال قولاً وقالاً[3].

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ٣﴾ أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن، فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن. إذ كان الرجل

(1) الحسين بن مسعود الفراء البغوي ولد في 433 هـ في بلاد فارس من اساتذته: أبو على الحسين بن محمد بن أحمد المرزوى. أبو عمر عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحى الهروى. أبو الحسن على بن يوسف الجوينى. من طلابه: مجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد أبو الفتوح محمد بن محمد بن على الطائي الهمذاني. ابو المكارم فضل الله بن محمد بالنوقاني من مؤلفاته شرح السنة. مجموعة الفتاوى. التهذيب في فقه الإمام الشافعي وفاته: 516 في خراسان.

(2) البغوي، أبو محمد. 1998. معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار القلم ص 65.

(3)البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 22

يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضناً بها، فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن. أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقه، لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي: أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت. وقيل: كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى، فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنى، فانكحوا ما حل لكم. وإنما عبر عنهن بما ذهاباً إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن، ونظيره ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾بفتح التاء على أن ﴿لَا﴾ مزيدة أي إن خفتم إن تجوروا. ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ معدولة عن أعداد مكررة وهي: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. وهي غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها. وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصفة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها: الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك: اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ بين هذه الأعداد أيضاً. ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع. وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة، أو فالمقنع واحدة. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري. ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ أقرب من أن لا تميلوا، يقال عال الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار، وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة. وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم، فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية. ويؤيده قراءة ﴿أن لا تعيلوا﴾ من أعال الرجل إذا كثر عياله، ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع[1].

{وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ} مهورهن. وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف،

(1) البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 25

وبضم الصاد وسكون الدال، جمع صدقة كغرفة، وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة[1]. ﴿ نِحْلَةً ﴾ أي عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلًا إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض، ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ، ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو، أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة. وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلاً منه عليهن فتكون حالاً من الصدقات. وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له، أو حال من الصدقات أي ديناً من الله تعالى شرعه، والخطاب للأزواج، وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم. ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ للصداق حملاً على المعنى أو جرى مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة: كَأَنَّه في الجلْد تَوْلِيْعُ البُهَق، فإذا سئل فقال: أردت كأن ذاك. وقيل للإيتاء، ونفساً تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد، والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيب نفس، لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز، وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ فخذوه وأنفقوه حلالاً بلا تبعة. والهنيء والمريء صفتان من هنأ الطعام ومرأ إذا ساغ من غير غصص، أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالاً من الضمير. وقيل الهنيء ما يستلذه الإنسان، والمريء ما تحمد عاقبته. روي: أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق إليها. فنزلت. ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها، وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم، وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة. وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته وأولاده، ثم ينظر إلى أيديهم. وإنما سماهم سفهاء استخفافاً بعقولهم واستهجاناً لجعلهم قواماً على أنفسهم وهو أوفق لقوله: ﴿ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ أي تقومون بها وتنتعشون، وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياماً سمي ما به القيام قياماً للمبالغة. وقرأ نافع وابن عامر ﴿ قِيَمًا ﴾ بمعناه كعوذ بمعنى عياذ. وقرئ: ﴿ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ وهو ما يقام به. ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه. ﴿ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ عدة جميلة تطيب بها نفوسهم، والمعروف ما

(1) ابن باديس، عبد الحميد. 1995. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. تحقيق أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. الجزء الثالث ص 45

عرفه الشرع أو العقل بالحسن، والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه[1].

2.1.2 تفسير آيات العذاب والعفو: من الاية144 -149

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾[2]

ففي ذلك حجةً بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق أو سلطاناً يسلط عليكم عقابه[3].

﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهو الطبقة التي في قعر جهنم، وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ، وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض. وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع على إدراك. {وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ يخرجهم منه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ عن النفاق. ﴿وَأَصۡلَحُواْ ﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق. ﴿ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ } وثقوا به أو تمسكوا بدينه. {وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ ﴾ لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه سبحانه وتعالى. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ومن عدادهم في الدارين. ﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ فيساهمونهم فيه.[4]

﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ ﴾أيتشفى به غيظاً أو يدفع به ضرراً أو يستجلب به نفعاً وهو الغني المتعالي عن النفع والضر، وإنما يعاقب المصر بكفره

(1) البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 26

(2) القرآن الكريم سورة النساء: 149-144.

(3) البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 39

(4) الجصاص، أبو بكر. 1992. أحكام القرآن. تحقيق محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص 89، ووافقه في ذلك البيضاوي.

لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا أزاله بالإيمان والشكر ونفى نفسه عنه تخلص من تبعته، وإنما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهماً، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيباً يقبل اليسير ويعطي الجزيل. ﴿عَلِيمًا﴾ بحق شكركم وإيمانكم.[1]

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه. وروي أن رجلاً ضاف قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه. فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعاً أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لكلام المظلوم. ﴿عَلِيمًا﴾ بالظالم.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ طاعة وبراً. ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أو تفعلوه سراً. ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ لكم المؤاخذة عليه، وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له، ولذلك رتب عليه قوله. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك، وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتظار حملاً على مكارم الأخلاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء: 150] بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله. ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴿١٥٠﴾﴾ نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر، واتفق في ذلك جميع العلماء إذ لا واسطة في اتّباع الحق: إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يتم إلا بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً أو إجمالاً، فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: 32] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: 151] هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا. ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى: هم الذين كفروا كفراً حقاً أي يقيناً محققاً. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴿١٥٢﴾﴾ أضدادهم ومقابلوهم، وإنما

(1) الثعلبي، أبو إسحاق. 2002. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. مراجعة نظير الساعدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2 ص 156

دخل بين على أحد وهو يقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي.[1]

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر. وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾ لما فرط منهم. ﴿ رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ {رَّحِيمًا} عليهم بتضعيف حسناتهم.[2]

﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴿١٥٣﴾ ﴾ نزلت في أحبار اليهود قالوا: إن كنت صادقاً فإتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام، وقيل: كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة، أو كتاباً نعاينه حين ينزل، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله. ﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ جواب شرط مقدر أي: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام أكبر منه، وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم. والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوه عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم. ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴿١٥٣﴾ ﴾ عياناً أرناه نره جهرة، أو مجاهرين معاينين له. ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴿١٥٣﴾ ﴾ نار جاءت من قبل السماء فأهلكتهم. ﴿بِظُلۡمِهِمۡۚ ﴿١٥٣﴾ ﴾ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم، ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقاً. ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴿١٥٣﴾ ﴾ هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضاً أوائلهم، والبينات، المعجزات، ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد. ﴿ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ ﴾ تسلطاً ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم.[3]

2.1.3 تفسير آيات الرحمة وحسن العاقبة من الآية 176-173

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

(1) البيضاوي، عبد الله بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 41

(2) البغوي، أبو محمد. 1998. معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار القلم ص 98

(3) البيضاوي، عبد الله بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 44

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ (1)

{فَأَمَّا الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات فَيُوَفّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الذين استنكفوا واستكبروا فَيُعَذّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِياً وَلاَ نَصِيراً} فتفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام، وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعاً يوم يحشر العباد للمجازاة، أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابلهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن، أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة، وقيل: البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ في ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب. ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ إحسان زائد عليه {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ} إلى الله سبحانه وتعالى. وقيل إلى الموعود. ﴿ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ هو الإسلام والطاعة في الدنيا، وطريق الجنة في الآخرة. {يَسْتَفْتُونَكَ } أي في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليه. روي: «أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي» فنزلت وهي آخر ما نزل من الأحكام.(2)

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة. ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ ﴾ ارتفع إمرؤ بفعل يفسره الظاهر، وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك، والواو في ﴿ وَلَهُۥٓ ﴾ يحتمل الحال والعطف، والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخاها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة، والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكنها لا ترث النصف.(3)

﴿ وَهُوَ يَرِثُهَآ ﴾ أي والمرء يرث إن كان الأمر بالعكس. ﴿ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ ذكراً

(1) القرآن الكريم سورة النساء: 176-173.
(2) البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص 51
(3) البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع ص52

كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها، وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ، والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ إن فسرت بالميت. ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة على المعنى، وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما. ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا. وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات.

الخاتمة

النتائج:

- وقد توصل البحث في جوهره إلى عدة نتائج بعد الانتهاء من هذه الدراسة الموجزة لمبدأ العفو والترغيب في سورة النساء في تفسير البيضاوي:
- أولاً: الغرض الأساسي الذي أكدته هذه السورة هو قصد الله الوحيد للوحدة. فسبحانه في السيادة والعبودية باختياره. وهذا الغرض هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وهو قاعدة التوحيد الخالص الذي تنبثق منه حياته. تتبع منه طريقة الحياة هذه في كل الجهات وفي كل الاتجاهات. كما أكدت مخافة الله، وهي أساس قبول الأعمال.
- ثانياً: من المقاصد الرئيسية التي تركز عليها السورة تنظيم حياة المجتمع المسلم وتطهيره وعزله عن الفاحشة، وبالتالي بناء أساس اجتماعي صحي وقوي للأسرة، وهذا هو الهدف فبالتطهير تزول العناصر الفاسدة، لتقوم الأسرة على أسس سليمة ومتينة، والعودة إلى المجتمع في حالة نقية.
- ثالثًا، دولة إسلامية على أسس متينة، تقوم على تحقيق الثقة في شعبها، والعدالة في

الحكم بين الناس، والرجوع إلى شريعة الله في جميع أمور الحياة.

- رابعًا: التحذير من الجماعات التي تزعزع استقرار هوية المجتمع الإسلامي. مثل المنافقين الذين يأكلون مثل القراد في أجسادهم بقصد تقويض أركان المجتمع الإسلامي وزعزعة بنيته.
- خامساً: الغرض في السورة تحذير المؤمنين من التجاهل في حق الأرحام والأيتام والنساء والرجال، ومن أكل أموال الناس ظلماً، وضرورة إقامة العدل بين الناس.
- سادساً: الغرض من البيان أن أحكام الشريعة لا يقصد بها جلب المشقة أو التعبِ للمسلمين، وإنما توجيههم وتهدئتهم لصلحهم وإصلاحهم.
- سابعاً: أكدت السورة الشريفة أهمية الجهاد في سبيل الله، من أجل حماية هذا الدين من جهة ونقله إلى جميع الشعوب من جهة أخرى.
- ثامناً: أن السورة كانت تهدف إلى تصحيح إيمان كل إنسان بالله، وحفظه من كل انحراف، وخلل، وبيان أن المسيح بن مريم، هو خادم الله ورسوله، ويبطل عقيدة الثالوث، بإثبات وحدانية الله.
- تاسعاً: القصد من إيضاح أن الخلاص في الآخرة مرتبط بالإيمان والعمل، لا بالقول فقط، أو الانتماء إلى ديانة شريفة، أو العلاقة بالنبي المرسل.
- عاشراً: الغرض من إثبات حجة صحة نبوءة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أن وحيه عليه كان مثل الوحي لمن قبله.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. السنة النبوية الشريفة
3. ابن باديس، عبد الحميد. 1995. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. تحقيق أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. الجزء الثالث.
4. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد. 1983. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق أحمد شاكر. بيروت: دار الآفاق الجديدة.
5. ابن رشد، أبو الوليد. 2004. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة: دار الحديث.
6. البغوي، أبو محمد. 1998. معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار القلم.
7. البيضاوي، عبد اللّه بن عمر. 1997. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: إحياء التراث العربي، تفسير سورة النساء الجزء الرابع.
8. الثعلبي، أبو إسحاق. 2002. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. مراجعة نظير الساعدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2.
9. الجصاص، أبو بكر. 1992. أحكام القرآن. تحقيق محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
10. الذهبي، شمس الدين. 1985. سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
11. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم. 1992. المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان الداودي. دمشق: دار القلم.
12. الطاهر بن عاشور. 2000. التحرير والتنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
13. الواحدي، كتاب أسباب النزول ت الحميدان، دمشق دار القلم
14. مهدي عبدالقادر العوضي، المقاصد الربانية في سورة النساء، دراسة تحليلية استنتاجية، رسالة ماجستير، جامعة ام درمان الإسلامية، 2018